

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[279] أن نحل مشاكلنا و ما حلّ بنا، ولكننا لا نستطيع أن نمنع العذاب عن أنفسنا ولا عنكم، ولا أن نتحمل عنكم جزءاً من العقاب! والملاحظ هنا أن الآية (21) من سورة "إبراهيم" تتضمن نفس هذا الاقتراح من قبل الضعفاء إزاء المستكبرين، الذين قالوا جواباً على هذا: (لو هدانا الأ لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص). والمقصود بالهداية هنا هي الهداية الى طريق الخلاص من العذاب. وهكذا يظهر أن هذين الجوابين لا يتعارضان فيما بينهما، بل يكمل أحدهما الآخر. وعندما تغلق في وجههم السبل، سبل النجاة والخلاص، يتوجه الجميع إلى خزنة الذّار: (وقال الذين في الذّار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب)(1). إنهم يعلمون أن العذاب الإلهي لا يرتفع، لذلك يطلبون أن يتوقف عنهم ولو ليوم واحد كي يرتاحوا قليلاً... إنهم قانعون بهذا المقدار! لكن إجابة الخزنة تأتي منطقية واضحة: (قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات؟ وفي الجواب قالوا: (قالوا بلى). فيستطرد الخزنة: (قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلاّ في ضلال). إنكم بأنفسكم اعترفتم بأنّ الأنبياء والرسل جاءوا بالدلائل الواضحة، ولكنكم كفرتم بما جاءكم وكذبتم الأنبياء. لذلك لا ينفعكم الدعاء، لأنّ الأ لا يستجيب لدعاء الكافرين. بعض المفسّرين يرى في تفسير الجملة الأخيرة أنّ المراد هو أنّنا لا نستطيع الدعاء لكم بدون إذن من الأ تعالى، فادعوا انتم بذلك، وذلك إشارة الى انغلاق 1 - "خزنة" جمع خازن، وتعني الحارس.